سننتزع الفجر

من كل ما يحيط بنا من ظلمات

المصور 23 يوليو 74

بقلم: يوسف السباعى

غداً تبدأ الثورة عامها العشرين مرحلة قد تبدو فى عمرنا طويلة .. قذفت بنا نحن جيل هذه الثورة.. من الشباب إلى الكهولة.. وجعلت من الأبناء الصغار آباء.. ومن الآباء جدوداً.

ولكنها فى عمر التاريخ.. لا تتجاوز لحظة كلمح البرق.

ومن حقنا والأحداث تدفعنا أن نتمهل لنلتقط أنفاسنا.. ونتلمس مواطن أقدامنا ونعرف أين بلغنا وإلى أين نخطو.

ولعل أوجع ما نحس به هو افتقادنا لأعز ما فى هذه الثورة.. لقائدها وبطلها.. الزعيم جمال عبد الناصر.

رحل عنا فى ساعة نحن أحوج ما نكون إليه .. إلى قيادته وإلى حنكته.. وشجاعته.. وصلابته فى الحق.. وإلى قلبه العامر بالإيمان.. بالله.. وبالوطن.. وبالعروبة.. وإلى ثقته بالشعب وارتباطه به.. وإلى فهمه العميق لما يريد هذا الشعب.. وإلى وضوحه بغير تعقيد.. وقدرته بغير استعلاء.

ولم يكن لنا من عزاء عن فقده سوى أننا لم نفقد دربه.. ولا ضللنا عن طريقه.. يتقدمنا على الدرب.. ويقودنا فى الطريق .. أخ كريم لعبد الناصر.. أخ ثورة.. وزميل نضال.. يعرف رسالته جيدا.. يعرف حبه للناس.. وثقته بالشعب.. هو الرئيس أنور السادات.. الذى واصل حمل المشعل.. محطما مراكز القوى مضيئا الطريق للحرية..

والتحرير.. وللنصر.. و الذى حدد معالم المستقبل وأوضح اتجاهات العمل.. مؤكدا أننا على طريق عبد الناصر.. على السيرة.. على الهدف.. استمرارا واتصالا.. ارتباط وعهدا.. وأنه ليس أمامنا من شاغل إلا المعركة وبناء الدولة خدمة وتدعيما للمعركة".

ولقد استطاعت الثورة خلال عامها العشرين أن تحقق رغم كل العقبات من الإنجازات الضخمة ما غير وجه المجتمع المصرى وأرسى دعائم البنية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية وما هيأ لنا القدرة على الانطلاق نحو مستقبل أفضل يتوفر فيه الرخاء وتتحقق فيه العدالة والطمأنينة.

وإذا كانت عملية التنمية والبناء قد لقيت بعض العقبات التى حدت من بلوغها القدر المنشود. سواء كان ذلك بسبب الزيادة الخطيرة فى معدل النسل التى أدت بالإضافة إلى الحرص الشديد على تحقيق سريع للعدالة الاجتماعية فى مرحلة حيوية من مراحل البناء إلى ابتلاع فائض الإنتاج المقرر أن يستغل فى عملية البناء ذاتها. كما كان لتسرب البيروقراطية إلى الجهاز الحكومى وفقدان الحافز الفردى فى أجهزة القطاع العام وهو أكثر قطاعات العمل حيوية فى التطبيق الاشتراكى.. أثره الواضح فى قصور عملية التنمية عن المعدل الموضوع.. فى مرحلة هامة من مراحل البناء.

وإذا كانت نكسة يونيو إلى جانب الصدمة المعنوية.. التى هزت نفوسنا جميعا – قد أفقدتنا موارد مادية حيوية فى عملية البناء.. هى دخل القناة وحقول البترول فى سيناء ومصانع السويس.

وإذا كانت عملية إعادة بناء قواتنا المسلحة والإعداد الدائم والدعم المستمر لقدرتنا العسكرية استعدادا للمعركة تحملنا عبئا ماديا ضخما.

فإن كل ذلك لم يستطع أن يعرقل عملية التنمية والبناء الداخلى، فاستطعنا بمعاونة الاتحاد السوفييتى الصديق أن نكمل السد العالى بكل ما يوفر من طاقة كهربائية تزيد على 400 ألف كيلوات تهيئ لنا ما تحاج إليه المصانع من كهرباء إلى جانب

كهربة الريف وبكل ما يهيئه من استصلاح مئات الآلاف من الأفدنة ومن تحويل مئات الآلاف من رى الحياض إلى الرى الدائم.

وأمكن كذلك من ناحية التنمية الزراعية تحقيق عدة مشروعات حيوية كالتوسع الرأسى فى الزراعة ومشروعات الرى والصرف بما قفز بحجم الإنتاج الزراعى قفزة واسعة ولقد حقق اكتشاف آبار البترول الجديدة زيادة ضخمة فى إنتاج البترول.

وفى مجال الصناعة استمر دعم طاقة الإنتاج ولم يكن هناك غير انخفاض قليل بعد النكسة فى بعض المؤسسات الصناعية تقابله زيادة فى نواح أخرى. ثم استمر فى الزيادة عاما بعد عام. كما استطاع التصدير أن يحقق نجاحا ساهم فى تثبيت دعائم اقتصادنا الوطنى حيث استطعنا أن نوجد أسواقا بديلة وأسواقا جديدة أمام منتجاتنا. وفوتنا بذلك على الغرب أية محاولة لفرض أرادته عن طريق الضغط الاقتصادى.

ولقد استطعنا أيضا فى عام الصمود فى أعقاب النكسة أن تحقق تحسنا كبيرا فى الميزان التجارى إذا انخفض العجز انخفاضا واضحا يزيد على النصف كما أمكننا فى الوقت نفسه القيام بسداد جميع التزاماتنا المستحقة لبنوك العالم فى مواعيدها واستطعنا أن نوفر معظم الاحتياجات الأساسية للبلاد ولا سيما الخامات والسلع الوسيطة.

فى كل مجال من المجالات استطاع الثورة أن تواصل الانطلاقة البناءة.. واستمرت إرادة الصوت قوية فعالة لم تنل منها الهزيمة العسكرية أو الضغط الاقتصادى.

و طبيعى أن يكون هناك أخطاء واضحة خلال الأعوام الطويلة التى أرست فيها الثورة دعائم التنمية والعدالة الاجتماعية. وحددت طريق الاشتراكية لانطلاقنا فى سبيل تحقيق آمال المستقبل. ولقد كان علينا أن نتعلم من تجربة النكسة دروسا مستفادة أظهرت لنا العلل التى أدت إلى النكسة لكى نقتلعها من جذورها.

وكان أهم ما استطعنا أن نحققه بعد النكسة ودرسا منها هو إعادة تنظيم قواتنا المسلحة على أسس علمية سليمة. بالتسليح المصرى والتدريب الفعال.

كما تم إنهاء دولة المخابرات، ووضع بيان 30 مارس من أجل حشد كل القوى لتحرير الأرض والاستعداد للمعركة دعما للعمل السياسى أو خوضا لقتال مصيرى ليس منه بد ومن أجل تدعيم بناء الدولة العصرية ودفع التنمية الشاملة وتدعيم القيم الروحية وضمان الحريات بكافة أنواعها وحماية الثورة فى ظل القانون وحصانة القضاء.

ولقد تقدم الرئيس السادات إلى الشعب على طريق عبد الناصر وعلى هدى الميثاق وتحقيقا لبيان 30 مارس واستطاع فى 15 مايو أن يقضى على مراكز القوى الجديدة وأن يكشف مؤامرتها وأن يؤكد عزمه على أن يجعل ما جاء بالميثاق وبالبيان حقيقة فعالة ملموسة وأن يعمل على التطبيق العملى السليم لكل ما جاء فى الميثاق وفى البيان ولا يمنح فرصة أخرى لكى تنبت مراكز قوى جديدة.

وفى هذه المرحلة الحاسمة من حياتنا ونحن نقف فى إصرار لتحرير أرضنا بكل ما نملك من قدرة.. يبدو الطريق أمامنا مليئا بالسحب ففى الأردن تواصل السلطات الأردنية مجازرها الرهيبة فى محاولتها تصفية المقاومة. فى الوقت الذى تواصل إسرائيل محاولاتها الدائبة على تهويد القدس.. وتضيع أصوات التحذير والاستغاثة وسط دوى المدافع وضجيج القنابل التى تفتك بالشباب الفلسطينى الذى كان مفروضا أن يواجه العدو الحقيقى الذى يقضم اللقمة فى هدوء وأمان.

وفى المغرب تسيل الدماء العربية فى بلد عزيز وفى وقت تحتاج الأمة العربية إلى كل دعم فى بنائها بالتقدم وبالبناء الاقتصادى والعدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية.. حتى نواجه العدو بأمة عربية سليمة البناء .. وأن نواجه العالم العصرى بأمة عربية عصرية قد حقق شعبها الحرية والعدالة والتقدم.

وأمريكا .. تتقدم بمزيد من السلاح لإسرائيل مستمرة فى لعبة ميزان القوى.

ومع كل ما يبدو فى الأفق من سحب ومهما أكفهر الجو.. فليس أمامنا.. سوى السلاح فى يدنا وفأسنا فى اليد الأخرى. نحن مقررو مصيرنا.. ومحرروا أرضنا.. وبناة مستقبلنا.

ونحن بكل ما فى قلوبنا من إيمان بالله وبأنفسنا وبقيادتنا وبوحدتنا سننتزع الفجر من كل ما يحيط بنا من ظلمات.. وسنظفر بالنصر.. ونحقق آمال ما بعد النصر.

www.anwarsadat.org